مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في لبنان

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

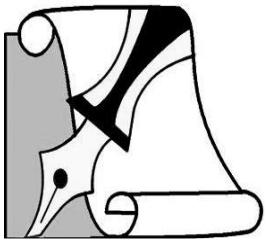

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تقدير نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في لبنان

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

شكل إعلان الرئيس سعد الحريري انسحابه مع تيار المستقبل من المشهدين السياسي والإنتخابي، حدثا دراماتيكيا في الحياة السياسية اللبنانية ونقطة تحول فيها إلى درجة أن بعد هذا القرار لن يكون كما قبله.

طبعا، جاء خطاب التنحية ليحُمل الأخصام مسؤولية ما حلّ بالحريري من انكسار وفشل للرهانات، وهو انتقد في خطاب التنحي ما أسماه النفوذ الإيراني وإنهيار الدولة والطائفية محملا هذه العوامل مسؤولية فشله، مجريا مراجعة ربما حول تسويات تسببت بمنع تحقيق ما يصبو إليه اللبنانيون.

وبالرغم من مراعاة كلام الحريري لما يحب أن يسمعه السعوديون في توصيف المشكلة وأسباب إنسحابه، فإنه قام عمليا برمي كرة الفراغ بوجه حلفائه الذين يضغطون عليه، بصفته زعيم الطائفة الأكبر التي يمكن حشدها للمواجهة مع حزب الله، وزعيم كتلة نيابية كبيرة، ليقود هذه المواجهة سياسيا وإذا إقتضى الأمر عسكريا، وهو ما رفضه الحريري ودلّل عليه بقوله انه لجأ للتسويات منعا للحرب الأهلية، متحدثا عن السابع من ايار 2008 وإتفاق الدوحة وعن إنتخاب الرئيس ميشال عون في العام 2016.

وما لم يقله الحريري هو إن إنسحابه (المؤقت او الدائم) يوجه رسالة إلى هؤلاء الحلفاء وفي طليعتهم السعوديون، مؤداها أنها الساحة السنية اليوم وعليكم تدبير أمركم فيها وأرونا ما ستقومون به، وهي رسالة إلى من يود الحلول محله على الساحة السنية: لقد تركتها لكم فماذا ستفعلون لتملأوا الفراغ؟ ولنر كم ستحصدون من المقاعد وكيف ستتصرفون في مجلس النواب وتجاه تشكيل الحكومات، والإستحقاقات الرئاسية المقبلة؟

وهي رسائل وجهها خاصة إلى رئيس القوات اللبنانية سمير جعجع الذي يسعى لوراثة جزء من التصويت التقليدي لتيار المستقبل بواسطة السعوديين، والذين ناله مع ولي العهد السعودي محمد بن سلمان النصيب الأكبر من هتافات التنديد التي صدرت عن مؤيدي الحريري المحتجين على إعلان إنسحابه من متظاهرين ومن محتجين على الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والتي بدأ يجاهر بها صقور تيار المستقبل لا سيما نائب رئيس التيار مصطفى علوش وغيره.

يحمل قرار الحريري أبعادا خارجية تتعلق بعلاقته مع السعودية أولا وبالمشروع الخارجي المعد للبنان في ظل المتغيرات الجارية في المنطقة وعلى المستوى الدولي، ويجب التوقف عند هذا القرار كونه يحمل للمرة الأولى سابقة تاريخية عبر خروج الحريري من المشهدين السياسي والانتخابي، وهو ما لم يحدث سابقا حتى في زمان الأب الرئيس رفيق الحريري الذي اعتكف عن تأليف الحكومة كما أعلن "حرده" اكثر من مرة خلال حكمه لكن لم يعلن يوما انسحابا كهذا.

ويشير كثير من المتابعين إلى أن السعودية تقف خلف هذا القرار في إطار استكمال مسلسل إقصاء الحريرية السياسية عن المشهد السياسي وبدأ هذا المخطط منذ احتجازه في الـ2017 ثم إسقاط حكومته في الـ2019 ثم دفعه للاعتذار عن تأليف الحكومة العام الماضي، وصولا إلى انسحابه من السياسة اللبنانية، فضلا عن أنها تريد إحداث فوضى في لبنان وممارسة المزيد من الضغوط على حزب الله من خلال التحكم بالقرار السني بشكل كامل عبر قوى أخرى طيّعة لها.

ثمة وجهات نظر عدة تتعلق بقرار الحريري الذي جاء خلال فترة تبدو الحريرية معها في تراجع لكن في ظل شعبية ما زالت تلقى صداها في الشارع السني خصوصا والذي يفتقد إلى مرجعية واحدة مدعومة خارجيا.

لا بأس هنا في محاولة لفهم وضع البيئة السنية التي كانت في الأصل تعيش نوعا من الإحباط فاقمه قرار الحريري، لا سيما لناحية افتقاد البديل وعدم وضوح الرؤية للراعي الخارجي.

وقد تكون نقطة تحوّل على صعيد الطائفة السنية في لبنان ومعها الحريرية السياسية التي وُجهت لها ضربة في الصميم بعد نحو ثلاثين عاما على انطلاقتها في عهد المؤسس رفيق الحريري.

المرحلة شبيهة بالتحول البليغ الذي شهدته الطائفة مع حلول مؤسس تيار المستقبل رفيق الحريري عليها بداية التسعينيات من القرن الماضي، مالئا الفراغ السني في لبنان بعد فترة من الضياع وغياب الزعامات والاحزاب الوازنة.

جاء ذلك بعد تدهور في حال الطائفة بدأ قبلها بسنوات عشر في العام 1982 الذي كتب بداية التحول نحو ضمور سني تحول انكساراً مع هزيمة التنظيمات السنية العسكرية الذي تبع خروج الداعم الفلسطيني وإزاحة بعض الزعامات السنية الى الخارج واغتيال رموز سنية سياسية ودينية.. وضمور من تبقى..

حمل العام 1982 الذي شهد الهزيمة العسكرية للفلسطينيين وخروجهم من لبنان، بداية هذا التحول التراجعي للسنة في لبنان بعد عصر ذهبي طويل. فقبل ذلك استند السنة إلى زعامات تقليدية متجذرة في الأرض، وخاصة في مرحلة الخمسينيات والستينيات حين ساد النبض العروبي لا سيما مع زعامة جمال عبد الناصر التي حملت السنّة إلى القمة للمرة الأولى منذ تأسيس الكيان اللبناني في العام 1920.

لكن الغياب المزلزل لعبد الناصر في العام 1970، لم يحمل غيابا موازياً للناصرية وللمشروع العربي وقوامه مقاومة الاحتلال الاسرائيلي الذي جذب الشرائح السنية المختلفة في البلد، من دون أن يعني هذا مذهبية في ذلك المشروع وأن استند إليه المسلمون السنة في محاولة لتغيير النظام اللبناني عبر مشروع عسكري مغامر لم يعيه أحد في العام 1975 حين اندلعت بداية الحرب الأهلية التي استمرت حتى العام 1990.

والحال أن اتفاق الطائف رسم بغطاء سعودي أميركي وقوة النار السورية سمة المرحلة منذ العام 1989 ومن بعدها افتتاح عصر السلم الأهلي الذي شكلت الحريرية لبّه الاقتصادي مع حلول رفيق الحريري رئيسا للحكومة بين العامين 1992 و1998، ثم بين العامين 2000 و2004، قبل أشهر من اغتيال الرجل الذي استعار منه الإبن قبل أيام قوله الشهير قبيل اغتياله بأشهر "أستودع الله هذا البلد الحبيب لبنان وشعبه الطيب".

وعلى رغم حلول الإبن رئيسا للحكومة في مراحل متقطعة وتكريسه زعامة سنية كبرى منذ اغتيال الأب في العام 2005، وان لم يكن وحيدا، فإن تعاظما في المظلومية السنية سار في شكل مطرد وسط انكسارات في لبنان وفي المنطقة مع غياب للمرجعية اتخذ طابعه الأهم في الفترة الاخيرة مع القرار السعودي بالتخلي عن الحريري.

هي اليوم مرحلة تيه سني وشعور باليُتم مع غياب الحواضن الخارجية مثل الرياض وبغداد وحتى دمشق ماضياً، سيتعمق مع خروج الحريري من الحكم، خروج يعلم الرجل ان ما بعده لن يكون كما ما قبله، هذا اذا تمكن زعيم تيار المستقبل من الحفاظ على تياره والعودة يوما ما في ظل تخلي الجميع عنه ليحلّ يتيما هو الآخر من أية مرجعية خارجية باستثناء تعاطف مصري وإماراتي ومظلة فرنسية عاجزة..

طبعا لأخطاء الرجل في سياسته الداخلية وتدخلاته الخارجية فعلها في ما حلّ به، لكن في كل الاحوال فإن النتيجة تتمخض عن مرحلة سنية جديدة هشة يفتتحها العام 2022 للمرة الأولى منذ العام 1992 .

وعلى رغم غموض المشهد السني الداخلي ومن سيتولى هذا الفراغ مع أسئلة تُطرح حول ما ستتمكن منه قوى التغيير ذات الحضور المتفاوت في المناطق السنية في الانتخابات المقبلة، إلا أن البعض يثير القلق من تيارات سلفية متطرفة قد تعود إلى الحضور في المشهد اللبناني كما تحضر في المشهدين العراقي والسوري، ويقع على عاتق الساحة السنية المعروفة باعتدالها التاريخي مواجهته كما لفظته في الماضي باستثناء حالات غير ذات شأن لم تتمكن من الولوج إلى الحال السني صاحب المزاج المدني والسلمي والذي يتخذ من حماية الطائف شعاراً لا يحيد عنه.

من هنا ستتسم المرحلة السنية في لبنان بالدقة وسط شعور عام في الطائفة بالتخلي عنها وازدواجية المشاعر حيال الرعاة الإقليميين والحسرة على عدم القدرة على الانتماء إلى مشروع حاضن كما كان في الأزمان المصرية الناصرية والفلسطينية والسعودية، ما يولد شعورا بالعجز مع تنامي القوة الشيعية محليا وإقليميا من ناحية، وتكريس مرجعيات طائفية لدى المسيحيين والدروز وإن تعددت لكنها في النهاية تحمي ظهر الطائفة وتحفظ حقوقها في لعبة السلطة وتضمن سيلان دعمها الخارجي، من ناحية ثانية، في فترة دقيقة تُرسم ملامح خارطتها السياسية لمرحلة طويلة مقبلة.

لذا فإن قارئين عن كثب للمشهد السني يشيرون إلى أنه ليس من السهل التقليل من مخاطر تداعيات حالة الإحباط والإرباك المهيمنة على الوضع السني، والتي زادت تفاعلا وتعقيدا بعد إنسحاب الحريري وتيار المستقبل من الساحة السياسية، قبل أشهر معدودة من موعد الإنتخابات.

فصحيح أن عاصفة الغبن والإحباط ضربت المكون المؤسس في الكيان اللبناني، منذ التسوية السياسية التي عقدها الحريري مع العماد ميشال عون وتياره والتي أوصلت الأخير إلى بعبدا رئيسا للجمهورية، وأدت إلى جانب عوامل معيشية وإقتصادية إلى تراجع لافت في شعبية رئيس تيار المستقبل، ولكن الأصح أيضا أن توقيت إنسحاب الحريري عشية الإنتخابات النيابية وتركه الساحة من دون ترتيب البيت السني بالتعاون مع القيادات السياسية والروحية، ضاعف من حالة الإحباط والضياع والشعور بالفراغ، خاصة في الأيام الأولى التي أعقبت خطاب الإنسحاب الدرامي.

وكان لافتا للنظر عقد لقاء في الجامع العمري ضم إلى مفتي الجمهورية عبد اللطيف دريان الرئيسين نجيب ميقاتي وفؤاد السنيورة، واعتُبر بمثابة رسالة تطمين سريعة بأن لا فراغ في قيادة السنة، وأن إستعادة المبادرة القيادية تتم بسرعة بدءا مع الحرص على التأكيد على عدم مقاطعة الإنتخابات، ترشيحا وإنتخابا، على أمل أن يعقب هذا اللقاء خطوات عملية أخرى.

وأسفرت الإجتماعات غير المعلنة بين مفتي الجمهورية ورؤساء الحكومات السابقين، عن التوافق على أن يتولى الرؤساء إدارة الوضع السني بالتعاون مع المرجعية الروحية ومتابعة الحركة السياسية في هذه الفترة الحرجة من تاريخ البلد، والمساهمة في تمرير الإستحقاق الإنتخابي بما يستحق من إهتمام ودراية.

ويرى هؤلاء أن الإقدام على هذه الخطوة هو من الأهمية بمكان لملء بعض الفراغ الحاصل في قيادة السنة، ولكن بعض فعاليات السنة يرى أن الوضع الدقيق الذي تمر به البيئة السنية يتطلب توسيع قاعدة التشاور والعمل مع أوسع قاعدة ممكنة، على نحو ما كان يحصل في ظروف مماثلة في فترات سابقة، حيث كانت دار الفتوى تحتضن مؤتمرات موسعة تضم فعاليات شرعية وسياسية واقتصادية وإجتماعية، تصدر عنها وثيقة إسلامية تؤكد على الثوابت والخيارات الوطنية في هذه المرحلة الحرجة. وذلك إنطلاقاً من التمسك بالعيش الواحد بين اللبنانيين، وحماية السلم الأهلي، وتطبيق إتفاق الطائف ميثاقا ودستورا، وتجديد الدعوة لإتباع سياسة النأي بالنفس عن صراعات المنطقة، وتطبيق إعلان وتم إعتماده في مجلس الأمن الدولي بموافقة كل أعضائه، بما فيهم روسيا والصين. ويصدر عن هذا المؤتمر تفويضا لرؤساء الحكومات، ولمن يرونه مناسبا معهم، لتدبير شؤون الطائفة في هذه الفترة العصيبة عليها.

من هنا يرى كثيرون على الساحة السنية ضرورة ترتيب البيت السني وإخراج أهل الطائفة من دائرة القلق والإحباط، ثم العمل على إدارة العملية الإنتخابية التي تخلى عنها تيار المستقبل، مع الأخذ في عين الإعتبار المستجدات على الساحة السنية ومحاولات بعض الأحزاب السياسية السطو على أصوات الناخبين السنة في غفلة عن قياداتهم السياسية والروحية (والكلام هنا عن حزب القوات اللبنانية وغيره).

ولعل أبرز المستجدات في هذه الفترة عنصران دخلا على المشهد السياسي في شكل لافت للنظر: الأول إعلان النجل الأكبر للرئيس رفيق الحريري، بهاء، عودته الوشيكة إلى لبنان لمتابعة نهج والده والحفاظ على الحريرية السياسية. والثاني بروز العشائر العربية كتيار في المكون السني، على خلفية إنتشارها في مختلف المناطق ذات الوجود السني الوازن، وقدرتها على الحضور في المشهد الوطني على ضوء خطابات رؤساء العشائر البارزين في الفترة الأخيرة (وهي عشائر مدعومة خارجيا، خليجيا على وجه التحديد).

ثمة ترقب في البيئة السنية خاصة، لعودة بهاء الحريري إلى لبنان، وهناك نية لمعرفة البرنامج السياسي والإنمائي الذي ألمح إليه، وتبيان مسار النهج الذي تعهد بإتباعه لتفعيل الحريرية السياسية، بكل ما تعنيه من حرص على صيغة العيش بين اللبنانيين وصون السلم الأهلي، وإعادة الإعتبار لشرعية الدولة وأجهزتها المدنية والعسكرية والأمنية، فضلاً عن المشاريع الإنمائية ومؤسسات الخدمات الإجتماعية والطبية التي كان يرعاها الرئيس رفيق الحريري. كما معرفة إمكانية سحبه البساط من تحت أقدام شقيقه سعد الحريري الذي يغامر كثيرا في تنحيه السياسي وهو قد يبقى في المشهد السياسي في طريقة مُقنعة عبر قيادات سنية ومستقبلية.

وبإنتظار أن تُظهّر الأيام المقبلة الصورة الجديدة للساحة السنية، تدعو وجهة النظر هذه إلى تكاتف كل الجهود للمّ الشمل وتعزيز التعاون والحضور بين قيادات وفعاليات السنة، وذلك كأولوية تتقدم على كل ما عداها قبل الإنتخابات النيابية، سواء حصلت في موعدها الدستوري أم لم تحصل. وتشدد على ان واجب السنة اليوم سيكون في إظهار وجههم المعتدل ودورهم الوحدوي الذي لطالما وسم هذه الطائفة لبنانيا وعربيا وإسلاميا، عبر حماية لبنانهم بوجه أي محاولات للتقسيم ظهر الكثير منها مؤخرا.

في كل الأحوال، وفي قراءة لمشهد الاعتكاف ومآلاته، بات انسحاب سعد الحريري أمرا واقعا لن يتضح مساره على السنة سوى في موعد الانتخابات. ومع أنه استعار العبارة الاخيرة المشهودة للرئيس الراحل رفيق الحريري مغادرا آخر حكوماته، في 20 تشرين الاول 2004، بيد أن الأب لم يكن وقتذاك منكسراً على صورة ابنه وارثه الآن. فقد أوحى الأب أنه أقوى وتصرف في الأيام التالية في مواجهة الرئيس إميل لحود على أنه كذلك، وهدد بالانتقام في الانتخابات النيابية التالية.

أما الحريري الإبن فقد بدا مكسورا كما في يوم تشييع والده. ما قاله إنه هو الذي يُخرج نفسه من الحياة السياسية غير المعمِّرة (ما زال من غير المعروف مستقبلها). ثمة الكثير مما يقوله المحيطون بالحريري ويهمسون به جهارا والمرشح لأن يبرز أكثر في الفترات المقبلة. والواقع أن الحريري لم يصغ إلى كل المناشدات بعدم إخلاء مكانه، وأجاب بأنه مقتنع كليا بما قرر ولن يعود عنه. والمرجح أنه تبلغ قرارا قاطعا بالقضاء على دوره السياسي، بدأ عام 2017 عندما احتجز في الرياض ولم يتوقف. وهو ما يسقط نفسه على بيته السياسي الذي يجب أن يقفل نهائيا، ولا يتعاطى السياسة بعد الآن وبذلك يصبح تفصيلا عدم ترشحه أو عائلته للانتخابات، تحت أي مسمى أو دعم ملتبس. أما هو فأخذ على عاتقه أن ينصح الأقربين أن لا يترشحوا، ولا يريد تحمل مسؤولية أن يفعلوا. وقد يكون ذلك جزءا من مراوغة الرجل لكي لا يسدل الستارة الأخيرة على مستقبله السياسي.

إلا أن بعض المتابعين يشير إلى أنه لم يقتصر الطلب من زعيم تيار المستقبل على الاعتزال فحسب، بل دعوة تياره إلى الاقتراع للوائح التي يتقدم بها رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع واللواء أشرف ريفي ونائب بيروت فؤاد مخزومي وبهاء الحريري.

على أن المهم في الجواب الذي أفضى به الحريري إلى محدثيه، أنه لن يستجيب هذا الطلب مهما كلفه الأمر. وهو يرى أن المقصود هو دفع لبنان في اتجاه نزاع سني ـ شيعي، وهو لن يشكل غطاء هذا الأمر.

ولعل لا مفاجاة في الأمر، فالمقصود اليوم جمع كل أخصام حزب الله في تكتل واحد في المرحلة التالية لما بعد الانتخابات التي يراد لها أن تشهد انقلابا في المجلس النيابي، على طريق نشوء مرجعية سنية جديدة قادرة على المواجهة والوصول إلى الصدام.

لكن الأسئلة تبقى كثيرة وغير واضحة الإجابات وتلتقي مصادر متعددة على الساحة الحريرية والسنية على اعتبار أن الرئيس فؤاد السنيورة قد يقوم بدور على صعيد خلافة الحريري أو تمرير المرحلة حتى إشعار آخر.

تقوم وجهة النظر هذه على أن للرجل دورا أساسيا يلعبه لملء الفراغ وإعادة صياغة إدارة سياسية جديدة، مع إمكانية طرح مرشحين له على اللوائح، وتحديدا في بيروت، وهذه الحركة فيها مواكبة من رموز ما تبقى من الرابع عشر من آذار، وحاصلة على إيحاء بالتغطية من الخارج (أي دعم من السعودية).

ويشير البعض إلى أن حركة السنيورة منسقة مع رؤساء الحكومات السابقين ومفتي الجمهورية عبد اللطيف دريان، ويؤكد أن السنيورة لن يغرد خارج السرب الأزرق، لكنه يعمل على إبقاء الجمهور الحريريّ مجنداً باتجاه سعد الحريري دون سواه، أي بهاء الحريري وطبعا رئيس القوات سمير جعجع. ويعتبر أن السنة لن يُتركوا مشتتين في الاستحقاق الانتخابي بما يصب لمصلحة خصوم الحريرية السياسية.

من جهته يحاول السنيورة تركيب انتخابات نيابية، وتنسيق لوائح تحدّ من النتائج السلبية لاعتكاف الحريري وتياره عن الاستحقاق الانتخابي وخصوصا في بيروت، إلا أنه تلقى العديد من النصائح بعدم الترشح أو الترشيح لأن البيارتة لم ولن يصوتوا إلا لبيروتي باستثناء رفيق وسعد الحريري لامتلاكهما الوجدان السنّي وشرعيته، ووصل البعض إلى اتهامه بالغدر بالحريري مع أن هذا الأمر مستبعد كون السنيورة لن يتحرك من دون ضوء أخضر واضح من سعد الحريري كما حصل خلال ترؤسه الحكومة اللبنانية سابقاً.

في كل الأحوال يبقى خيار السنيورة الذي يحاول قدر الإمكان الترويج بأنه يمثل نهج الإبقاء على الاعتدال، الأكثر جدية، على الرغم من عدم حصوله على الحضن الشعبي السني الحقيقي، لذلك يرجح المراقبون السياسيون أن كل محاولات ملء الفراغ تضج بالفراغ وعدم الجدوى، وعلى رأسها محاولة بهاء الحريري ملء هذا الفراغ والذي لم يحصد (حتى كتابة هذه الكلمات) أي شيء ملموس على الأرض برغم اجتذابه نخبا سنية ومسيحية إليه.

في الخلاصة، يحلو للبعض تشبيه الوضع السني اليوم بذلك المسيحي في العام 1992. لكنه قياس مع الفارق كون الظروف مختلفة جداً سواء داخل السنة عن المسيحيين كما على صعيد الظروف الاقليمية السائدة. ولا يجب أن يتوّهم أحد أن المقاعد السنية التي سيخليها الحريري وتياره ستبقى شاغرة، بسبب احجامه عن الترشح.

في الماضي عند المسيحيين، في سابقة انتخابات 1992، سَهُل ملء المقاعد المسيحية بمرشحين مسيحيين، لا يمتّون بصلة الى الأحزاب الأكثر تمثيلا سياسيا، بل كانوا نقيضها. مع ذلك لم يُطعن في شرعية البرلمان المنتخب وسارع المسيحيون كقايدات وجمهور إلى محاولة التعويض عن هذا الخطأ عبر المشاركة في انتخابات العام 1996 ثم في انتخابات البلديات العام 1998 ليكسروا شيئا فشيئا مقاطعتهم وينحون في اتجاه معارضة واعية للنظام اللبناني المرعي سوريا.

فما حدث قبلاً منذ سنوات طويلة يصلح تكرار تجربته من دون الحريري الذي ينافسه كثيرون على الساحة السنية الولّادة بالتيارات والشخصيات لا سيما في هذه المرحلة بعد تاريخ 17 تشرين الاول 2019، وهو ما يشير بدوره الى أرجحية اجراء الانتخابات النيابية في 15 أيار من العام الحالي.. ما لم تطرأ صدمة اخرى قاتلة للانتخابات هذه المرة.